العنوان:	موقف علمائنا من التدخين والتخدير
المصدر:	الإحياء
الناشر:	الرابطة المحمدية للعلماء
المؤلف الرئيسي:	الألغي، رضا االله ابراهيم
المجلد/العدد:	مج1, ج2
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1981
الشهر:	اكتوبر
الصفحات:	105 - 113
رقم MD:	208723
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	التصوف، العلماء والفقهاء، التدخين، المخدرات، الانحرافات السلوكية، الادمان، الشريعة الإسلامية، المغرب، الاندلس
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/208723

© 2020 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

موقف علمائنا من التدخين والتخدير

للاستاذ: ابراهيم رضا الله الالغى
عضو المجلس العلمى باكادير

عـادة التدخيـن

بالرجـوع الى المصـادر المتعـددة (المقريـزى وغيـره) يتضح أن عـادة التدخيـن عريقـة فى القـدم اذ دلـت المأثرات على ان الصينيين والهنود كانـوا من الاوائل المتعاطين لتلك العادة امـا لاسباب تنشيطية وتـرفيهية او لدواعي علاجية وتخديرية . . ومن هناك سرى مفعولهـا الى الشعوب المجاورة ثـم الى سائـر الاقطار قاصيهـا ودانيها عبـر الاحقاب والاجيال .

وبالتـالى عرفت الاقطار الاسلاميـة فى فجرهـا الاول هذه العادة حيث بيـن المقريزى كيف ظهـرت بفارس واليمن والشام ومصر وما اليها وان بعض رجال التصـوف المتطرفين هـم الذين جلبـوا واستنبتوا أعشابها ونباتاتها واكتشفوا مفعولها المنبه واستنبطوا طرق تعاطيها تدخينا وتخديرا او مضغا واستنشاقا قصد تقوية مـداركهم الخاملة وتنميـة قدراتهم الفاترة عـلى مكابدة الاكـدار ومقاومـة الاقـدار،. فكانـوا يربـون مريدهم واتباعهم على الاستعانة بها للتغلب على ما يعتريهم مـن وهي وفتور وكسـل، زاعمين ان ذلـك اقوى عـلى المجاهدة وادعى الى التبتـل وكبح جماح النفوس الامارة او اللوامة، فسموا لذلك بالملامتية اخذا من ملامة النفس وجبرها وكسرها بالشهـوات والملذات،، وقـد غلت فى ذلـك طـوائف وركبت متـن الغوايـة والضـلال ودخلت في متاهـات ودروب لا منفـذ لها ولا وجـه لهـا فى الشـرع الاسلامـي الحنيف كالطائفـة المعروفـة بالحيدرية المنسوبـة للشيـخ حيدر بنيسابور وكالطائفـة المعروفـة بالحشاشين التابعـة للحسن بن صبـاح بالشـام والطائفة المعروفـة بالقلندية

الموغلة في الافراط والتفريط فى هذا الباب والمضروب بها المثل فى الاستهتار وتعاطي الموبقات كنزعة صوفية غريبة منكرة وطريقة في التربية خارجة عن الدين فكانوا لذلك محل متابعة ومطاردة من الحكام والراى العام (انظر فى ذلك كتاب الملامتية والصوفية والفتوة لابى العلاء عفيفى) وليس معني هذا ان الملامتية كانوا كلهم من هذا القبيل اذ فيهم طوائف معتدلة ومشايخ اجلة عرفوا بالتقوى وصدق اليقين والتفانى فى حب الله

هذه الملامتية المعتدلة وصلت الى بلاد المغرب والاندلس فى وقت مبكر وربما خلال القرن الخامس الهجرى الذى كان يعيش فيه الشيخ سيدى حرازم الصوفى الكبير الموصوف عند بعضهم بالملامتية واخرون بالمغرب والاندلس يغلب عليهم هذا الوصف الى ان جاء القرن العاشر الهجرى الذى نص صاحب الاستقصاء على انه عصر ازدهرت فيه الملامتية بشكل ظاهر فى المغرب حيث كانت الطوائف الصوفية والزوايا الطرقية والمشايخ المربون والفقراء والمريدون فى كثرة متناهية وطرائق شتى منها السنى ومنها المبتدع ومنها من اتخذت لها اشكالا ومراسم تمتاز بها واخريات اتخذت شعارات وازياء غير معهودة والذى يعنينا منها هنا هو ما كانت عليه بعض الطوائف الملامتية من التجاهر ببعض الاشياء منكرة غير مألوفة ولا مقبولة عند رجال الدين كاولئك الذين كانوا يتجاهرون بالتدخين فى المحافل العامة وفى مجالسهم الخاصة فيعطون لهذه الظاهرة صورة عمومية شعبية وصفة مباحة جائزة عند الخاص والعام مما جرأ عليها الطبقات الشعبية وتسبب فى انتشارها بين سائر الاوساط فضج معه المجتمع واقض مضاجع العلماء واقلق اولى الامر المسؤولين .

وهنا نترك الكلام لصاحب المعيار الجديد الشيخ الجليل سيدى المهدى الوزاني يصف ظاهرة استفحال عادة التدخين بالمغرب في اواخر الدولة السعدية حيث قال فى الجزء الحادى عشر ص 140 : مما تساهل الناس فيه فى هذا الزمان (السعدى) واظهروه فى مجالسهم واستعملوه حتى

الصبيان منهم مسألة طابة (التبغ او طابغة) المتداولة بين اربابها المستعملين لها من عام 5 او 6 بعد الالف الى وقتنا هذا (يعني اواسط المائة الرابعة عشر لان سيدى المهدى توفى رحمه الله عام 1342 هـ) وعم استعمالها افاق الاسلام شرقا وغربا حلا وحرما،

وربما كان من اسباب انتشار هذه البلية زيادة على ما اسلفنا ما كانت عليه الدولة السعدية من الانفتاح الواسع على العالم الخارجى فى ذلك العصر الموافق لبداية عصر النهضة الاوربية والامريكية المتدفقة على العالمين القديم والحديث بمعداتها وجحافلها وبحشودها ووفودها وبانفتاح المغرب كذلك على اقطار السودان وبلدان الشرق التركي والعربى وهى كلها تعج بأخلاط شتى وتموج بأمم ذات عوائد وتقاليد متضاربة فيها الصالح والطالح والنافع والضار فكان نصيب المغرب الشيء الكثير مما لا عهد له به كانتشار الرقيق الابيض والاسود وفشو الامراض والاوبئة واختلاط الانساب وكثرة التسرى والاقبال على افات التدخين والتخدير ،

والاوربيون بدورهم كانوا يشكون من هذه الافات بعد فتحهم لاقطار امريكا زاعمين ان عادة التدخين جاءتهم من الهنود الحمر سكان امريكا القدماء عن طريق الجنود والغزاة الاوربيين في القرنين الخامس عشر والسادس عشر مع ان من الثابت ان الاغريق والرومان كانوا يعرفون التدخين تكلم عنه ابو قراط وغيره ووصفوا عشبه وحشيشته الا ان تعاطيه كنشوة كان فى نطاق محدود عند الاوربيين فلم يندلع امره ويعظم خطره الا فى عصر النهضة اى فى نفس الظرف الذى تفاقم امره عندنا بالمغرب سواء بسواء مما دل على ان الموجة التي جاءت به هبت من جهتين معا فى ان واحد وكانوا مثلنا فى استهجانه واستنكاره والتصدى لمقاومته بفرض عقوبات رادعة كما فعل البابا في القرن 16 حيث كان يدفن المدخنين احياء بين الانقاض وكانت انجلترا تسحبهم على وجوههم في الشوارع وفي الممالك الخاضعة للسلطة العثمانية كانوا يشنقون فى عهد السلطان مراد الرابع وفى روسيا تجدع انوفهم

ويجلدون وينفون من الارض الى عقوبات اخرى في ذلك الحين

موقف علمائنا

اعطينا فكرة عن الظروف التى ادت الى استفحال امر التدخين بالمغرب منذ القرن العاشر الهجرى واشرنا الى بعض المتصوفة الملامتية المساهمين فى تفاقم تلك الحالة المزرية ونعني بهؤلاء على الخصوص الطائفة الهداوية المعروفة بعكوف اهلها واتباعها على احتساء التبغ والحشيش والكيف والافيون وما اشبه وجعلهم ذلك من طقوس وفروض طريقتهم الهداوية التى ابتدعها شيخهم سيدى هدى الوافد على شمال المغرب من جنوب المغرب حافيا هائما شاردا عزبا في اسمال بالية لا يملك قطميرا ولا يلقى بالا لاحد ولا يفضى بسره لاحد ولا بأصله وموطنه واذا سئل عن شيء من ذلك غمغم وتمتم لا يفضح ولا يتكلم الا بكلمات مبهمة وهو يتقرى القرى ويتتبع الاسواق ويتحاشي الناس والمجامع ويقتات مما يتصدق به الناس ولما القى عصاه بجبل العلم جوار ضريح المولى عبد السلام فى اخريات المائة الثانية بعد الالف (وقد توفي في 29 ذى الحجة 1219 هـ) اسس هناك زاويته على طريقته الخاصة المتمسكة بالملامتية المتطرفة وأخذ بعض العامة يلتفون حوله ومعظمهم شذاذ جفاة حفاة استهواهم حاله وتمكن منهم ناموسه وساروا على منواله يجمعون الصدقات فى المواسم والاسواق ويجوبون البلاد يهيمون على وجوههم بدون مأوى ولا زاد الا ما تجود به الايدى ويأخذونه من الفدادين وقت الحصاد ثم يأتون بكل ذلك الى الزاوية دون ان يخرموا منه درهما أو يأخذوا لانفسهم شيئا اذ أن الزاوية تتكفل باسباب عيشهم من مأكل ومشرب وحشيش كما تتكفل بأيواء كل من يلوذ بها من عابر سبيل وطارق ليل او نهار وهم لا يقيمون من الشعائر الدينية الا الصلوات الخمس وليست لهم اوراد رتيبة ولا اذكار مفروضة الا ما كان من التراتيل التى يدقون عليها الطبول والدفوف وراحتهم الكبرى يجدونها فى تعاطي الكيف والحشيش صباح مساء لا يفترون عنه ولا يجدون عنه محيصا ولهم فيه طرق خاصة اشبه بحالة التخدير

والغيبوبة عن الحس،

ولغرابة هؤلاء القوم ولكونهم يشكلون حالة فريدة فى المغرب لا يشركهم فيها احد من اهل الطوائف الاخرى ذهب كثير من الباحثين الاجانب المولعين باستكشاف المجاهل واستطلاع الغرائب يبحثون عن اسرار هذه الطائفة ويستقصون اخبار مؤسسها سيدى هدى عسى ان يظفروا بجلية امرهم وكنه حقيقتهم حتي ان بعضهم ظل يلازمهم زمنا طويلا ويعاشرهم في سرهم وعلنهم الى أن استطاع ان يكتب عنهم كتابا ضخما نحو 400 صفحة واخر كتب عنهم كتيبا صغير الحجم في ازيد من مائة صفحة اما الاول فهو الكاتب الفرنسى برونيل والثاني هو الكاتب الاسبأنى رامون ولا شك ان الاول أغزر مادة واكثر فائدة على ان الثانى وفى بالمراد في ايجاز فالذى استخلصناه منهما ان سيدى هدى سلك في مذهبه طريق الملامتية المتصوفين على ما ذكرناه سلفا وانه بناه على قهر النفس وكبت الغرائز واذلال الشهوات وامتهانها بالتمرغ فى اوحالها والتقلب فى رذائلها على غرار الطريقة القلندية السالفة الذكر وان له نظراء فى ذلك بجنوب المغرب ولا شك انه سار على نهجهم مثل سيدى ينو بدرعة وسيدى بن المختار بالصحراء وسيدى بوسنة بالجزائر فهؤلاء كانوا جميعا يستعملون الكيف ويربون عليه اتباعهم ويلزمون البهدلة والرهبنة ويعيشون في الناس اخلاق الشذوذ والشرود

لذلك عظم النكر على الهداوة واضرابهم بما عكفوا عليه واشاعوه من التدخين والتخدير اضافة الى ما كان عليه غيرهم من الادمان وسوء الحال .

فوقف العلماء فى وجه ذلك الخطر الداهم وقفة حزم وانكار وتحريم واشهار وفق ما استعرض سيدى المهدى الوزانى بالمعيار الجديد، الجزء الحادى عشر حيث قال ما ملخصه ان اهل العلم ازاء هذه الظاهرة فريقان احدهما وهو الاكثر يحرم تلك العشبة تحريما باتا لما بها من اضرار جسيمة ولما تنتج من رزايا وبلايا والفريق الثاني وهو الاقل يقف منها موقف المتحرج ان يصدر فيها حكما باتا لعدم ورود نص صريح بتحريمها مع انها لا تحتاج الى نص خاص

ما دامت مندرجة تحت النص العام: لا ضرر ولا ضرار، والقاعدة العامة: الضرر يزال فكم من اشياء حدثت في صدر الاسلام وليس فى خصوصها نص وارد ولا اجتهاد من الائمة الكبار فأندرجت عند العلماء المتأخرين تحت النصوص العامة

ثم قال سيدى المهدى ان العلماء قد اتفقوا على ان الحرأم في مفهوم ألشريعة ينقسم الى قسمين: حرام لصفة تقوم بعينه كالاسكار في الخمر وحرام لمفسدة تنتج عنه كأكل اموال الناس بالبأطل، فالعلتان موجودتان معا فى التدخين فيحرم بهما معأ او باحداهما لهذا عظم النكير من جل العلماء على من تساهل فى امر التدخين ولم ينظر اليه حتى من بأب المحافظة على المروءة الوأجبة شرعا وطبعا كالذى روي عن عالم تمبكتو سيدى احمد بابا نزيل مراكش الذى كان له شأن ونزاع مع المنصور الذهبى ومع علماء وقته لمخالفته اياهم في مسائل مذهبه ومنها قضية التدخين الذى كان يستحله مراعاة لجيرانه السوادين المولعين به فكان يلمز بالسودانى من اجل ذلك الا انه مع ذلك كان العلماء يعترفون له بالتصدير والتقديم وبرسوخ قدمه فى العلوم االاسلامية

ويظهر ان العاهل المنصور الذهبى اهتم هو نفسه بظاهرة التدخين المتفاقمة اذ اشار سيدى المهدى الى ان المنصور أمر ذات يوم باحضار حزم العشبة وباحراقها فى حضرته بالديوان وهو بفاس في احدى زياراته لها اعلانا منه بالموقف الرسمى فى القضية

كما المع سيدى المهدى لموقف القاضى ابن ابى النعيم قاضى الحضرة حين اراد ان يفصل فى قضية التدخين بحكم ناجز فوجه فى شانها سؤالا الى العلماء فاجابوه بالتحريم وكان من جملتهم سيدى عبد الرحمن الفاسى وسيدى احمد المقرى صاحب نفح الطيب يوم كان مقيما بفاس خطيبا بالقرويين وابو القاسم بن محمد الغسانى واحمد بن محمد بن جلال ومحمد بن سودة وهكذا توالى المجيبون بالتحريم الى أن بلغوا 17 عالما فاجتمعوا كلهم بمجلس القاضى المذكور واتفقت اراؤهم على القول بالتحريم المطلق الذى لا رخصة فيه فحينئذ وقع

القاضى الحكم بتحريم تلك العشبة وفساد المعاملة في بيعها وشرائها والحاقها بسأئر المنكرات والمفسدات ثم ذكر سيدى المهدى ان القاضي المذكور روجع في هذا الحكم فأغلظ القول لمن راجعه بعبأرات قأسية

ومن ذلك ان الامام سيدى احمد بن على السوسى ذكر فى كتابه بذل المناصحة انه سال شيخه سيدى عبد الله بن سعيد عن التدخين فقال: ذلك الويل حرام لا يتناوله الا الجاهلون وأنه سال ايضا سيدى عبد الله بن على بن طاهر فقال هو سم نص الاطباء على ان الادخنة كلها مضرة وان كل مضر حرام، وانه سئل عنها مرة اخرى فقال: يذهب صاحبها الى الفرنطشى (موقد الحمامات) ويملا جوفه بالدخان

وجاء فى الاجوبة الناصرية: ان علماء الظاهر والباطن اتفقوا على تحريمها ولم يتكلم فيها بالحلال الا اهل الهوى ولا يشربها الا المترفون وحاشا ان يشربها الصالحون لان قلوبهم منورة (كأن الشيخ الناصرى صاحب الاجوبة الناصرية اراد ان ينفى التهمة الموجهة لبعض الصوفية فى ذلك االشان)

وحكي سيدى المهدى جواب الشيخ ابي على اليوسى فى الموضوع اذ كان يرى أن القول بتحريم التدخين ضعيف السند اى لا يكفى ان يندمج فى العموميات ولكنه يرى نفوس اهل الدين نافرة منه حتى لا يكاد يوجد ببلاد المغرب من اهل الطريق المستقيم من يقبله لنفسه ولا لغيره بل يعدونه من المناكر الشنيعة والامور المنافية للشريعة، وزاد يقول انى سمعت من بعض اهل المعرفة انه في افساد القلب واظلامه اشد من الخمر

وممن افتي بتحريم التدخين القاضى ابو عبد الله محمد بن احمد المصمودى الهنتانى السجلماسى نظما ونثرا

وكذلك سيدى عيسى السكتانى القائل ان الدوام على التدخين من ضياع الوقت وفعل السفهاء وسقوط الهمة، قائلا: ويمكن ان يجرى عليها المنع من جهة الولع بها والادمان عليها

وقال العلامة محمد بن عبد السلام بنانى في جوابه: ان اهل المغرب قاطبة من أهل الدين والصلاح والتحقيق كأكثر اهل مصر من المالكية والشافعية والحنفية

على حرمة التدخين ومنعه

ولما سئل الشيخ المسناوى هل يجوز استعمال التدخين كما يستعمله اهل المشرق واهل مكة، اجاب بالمنع لما به من المفاسد التي لا تعد كثرة وان ما شاع من استعماله في بلدان الشرق فما هو اول قارورة كسرت فى الاسلام كما انه اجاب عن استعمال طابة النشوق فى الانف: بأنها يجرى عليها ما يجرى على اخيها في الفم وأنشد :

فان لم يكنها او تكنه فانه

اخوها غدتها أمه بلبانها

واخيرا اورد سيدى المهدى سؤالا ورد من الحضرة العلمية السلطانية الى علماء فاس حول ما ازمع عليه السلطان من الترخيص لجلب طابة (التبغ) من الخارج وجوابهم عن ذلك بما يفيد المنع،

وهناك تأليف في موضوع تحريم التدخين حررها علماء اجلة منها تأليف خاص لسيدى المهدى نفسه صاحب المعيار الجديد وتأليف للشيخ سيدى عبد الرحمان بن احمد الشاوى سماه: الدليل والبرهان على تحريم الدخان، وتأليف الشيخ سيدى العربي بن يوسف الفاسى بعنوان: سهم الاصابة فى حكم طابة وتأليف سماه صاحبه: رشق السنان في نحور اهل الدخان وتأليف لسيدى عبد الصمد كنون سماه العجالة المغيثة فى حكم استنشاق العشبة الخبيثة:

هذا واني لاستغرب كيف انكر العالم المشهور محمد كرد على تحريم العلماء للتبغ والطنبق وذلك بمقال له منشور فى مجلة العربى اكتوبر 1981 وهو من هو علما وفكرا

وبعد :

فهذا بعض مما يتعلق بموقف علمائنا الاعلام فى قضية اجتماعية خطيرة دهمت البلاد وشغلت الناس منذ اواخر القرن العاشر الهجرى وقف فيها العلماء موقف المناضل المجاهر بالحق الامر بالمعروف والناهى عن المنكر تلك الرسالة الربانية المنوطة بالعلماء الموكل اليهم القيام بها والجهر بها كلما حزب امر واشتد خطب غير متوانين ولا متواكلين،

ويا حبذا لو عاد علماء اليوم سيرة علماء الامس فوقفوا من جديد فى وجه نفس البلية التي ازدادت استفحالا وخطورة فى عصرنا هذا اذ هي اليوم

ادهى من كل داهية فهاهى سائر الاوساط وكافة المحافل وجميع الدول والشعوب تئن من هذا الوباء المتفشى بين سائر الامم قاصيها ودانيها والكل يستغيث ويسعى لرفع كابوس مآسى التخدير والتدخين الحاقة بالانسانية النازلة بساحات الامم كبيرها وصغيرها غنيها وفقيرها عالمها وجاهلها حتي انه لم يبق ركن في الدنيا الا وقد عشش فيه الحشيش وافرخ فيه الافيون وانواع التبغ والكيف وكل مشتقاتها ومستحضراتها التى تجاوزت الحد وفاقت كل عد وخربت الهمم وافسدت العقول وزرعت الويلات والفواجع في كل مكان

فكما كان للعلماء موقف مشرف فى هذا المضمار من قبل فانه يتحتم على العلماء ان يقوموا قومة رجل واحد ويجاروا بعقيرتهم ويرفعوا صوتهم منافحين مكافحين للذب عن حرمة الشريعة والجهر ببيان حكم الله مرة أخرى في هذه النازلة العياء والداهية الدهياء ولا سيما ان جموع العلماء فى مختلف بقاع الارض يعقدون المؤتمرات والندوات ويصدرون البيانات والنشرات يحذرون امهم وناشئاتهم من مغبة هذا الوباء الفتاك ويدعون دولهم لاصدار تقنيات وانزال عقوبات وفرض غرامات على المنتهكين والمتمادين الساعين فى الارض فسادا والزارعين فيها شوكا وقتادا والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل